الجدل التاريخي والفني في رواية " الجنرال خلف الله مسعود– الأمعاء الخاوية " لمحمد الكامل بن زيد

هشام بن سعدة طالب دكتوراه جامعة أبو بكر بلقايد– تلمسان

الملخص:

لعل الغاية من هذه المقاربة هو تحديد الإطار الزمني و الإيديولوجي الذي يتحرك الأديب في فلكه غداة إنشاء منجزه الإبداعي, و لما كان النص الأدبي و الإبداعي تحديدا هو معرفة مركبة, تتصل أساسا برصد السلوك البشري و استحضار التاريخ, جاءت حاجت البحث إلى اختيار أنموذج الرواية المجسد لهذه الخصوصية و المتغيرات الحاصلة على مستوى النص السردي, من خلال مدونة تنتمي إلى الأدب الجزائري هي رواية "**الجنرال خلف الله مسعود – الأمعاء الخاوية** " للكاتب **محمد الكامل بن زيد** لتكون موضوعا للدراسة, لما سخر الروائي من طاقاته الفكرية و المعرفية, هي إضافة نوعية في مسار الخطاب السردي الجزائري, وصورة مثالية للرواية الجزائرية التي تعمل على تحريك و تشغيل " **المخيلة المنتجة** " لدى القارئ, أمام شخصية البطل الإشكالي " **الجنرال** " الذي يحيلنا عبر الحكي في زوايا النكبات و القضايا العربية في أكثر مناطقها سخونة.

الكلمات المفتاحية: الجدل, الفني, التاريخي, رواية الجنرال, محمد الكامل بن زيد

Résumé :

Peut-être que l'objet de cette approche est de celle déterminer le cadre temporelle et idéologique, que l'auteur se déplace sur son orbite le jour après la création de création accompli, et ce qui était spécifiquement texte littéraire et créatif est de connaître le véhicule qui est principalement liée à la surveillance du comportement humain et d'évoquer l'histoire, a soutenu la recherche de choisir le modèle du roman incarné les spécificités et les variables au niveau du texte narratif, à travers un écrit appartenant à la littérature algérienne qui est le roman du «Général Khalaf-Allah Massoud - les intestins vides » de l'écrivain Mohammed Kamel ben Zaid pour faire l'objet d'une

étude, ce qui a ridiculisé le romancier de ses énergies intellectuelles et cognitives, est d'ajouter de la qualité au cours de discours narratif pour un algérien, et l'image du roman algérien parfait qui travaille à déplacer et exécuter « l'imagination produit » chez le lecteur,devant un héros personnel problématique « Général » qui nous entre par raconter des histoires dans les coins des calamités et des questions arabes dans plus de régions plus chaudes.

Mots clés : La controverse, l'artistique, l'historique, le roman du général, Mohamed Elkamel Benzaid.

تمثل الرواية الجزائرية التي اتّخذت اللغة العربية أداة للتعبير، فسحة من القول تضيء للقارىء مشاهد مشحونة بالتحولات المتسارعة التي عرفها المجتمع الجزائري عبر محطاته التاريخية المختلفة، ولأن الرواية هي أكثر الأجناس الأدبية قدرة على تقديم الملامح الأساسية للإنسان المعاصر في مختلف تجلياته السياسية و الاجتماعية و الإنسانية، أخذ جُلّ الروائيين الجزائريين على عاتقهم منذ البداية، هموم مجتمعهم و مشاكله وأحزانه و انتصاراته و هزائمه عبر الاشتغال على الذاكرة، مما حملهم على تكسير الشكل الكلاسيكي للرّواية في رحلة البحث عن التجاوز، ليس على مستوى المضمون فحسب، و لكنّه بحث على مستوى الشكل أيضا.

من هنا جاءت الرواية لتعزّز الحدود بين الثقافات، و تحتفظ بدوال الهوية الثقافية لكل بنية اجتماعية و هي تعول "على التنوع و الكثرة في الشخصيات فتقترب من الملحمة دون أن تكونها بالفعل، حيث الشخصيات في الملحمة أبطال و في الرواية كائنات عادية و هي تتميز بالتعامل اللّطيف مع الزمان و الحيّز و الحدث، فهي إذن تختلف عن الأجناس الأدبية الأخرى و لكن دون أن تبتعد عنها كل البعد حيث تظل مضطربة في فلكها وضاربة في مضطرباتها"[1].

---

*- محمد الكامل بن زيد, الجنرال خلف الله مسعود (الأمعاء الخاوية), دار علي بن زيد للطباعة و النشر, ط1, الجزائر

- محمد الكامل بن زيد كاتب جزائري مدير عام مجلة **رؤى الثقافية الصادرة عن اتحاد الكتاب الجزائريين, فرع ولاية بسكرة. صدر له من الروايات : قصر الحيران(2009), و الجنرال خلف الله مسعود – الأمعاء الخاوية (2014). وله من المجموعات القصصية :

و الحق أنَّ مرحلة التسعينات و بداية الألفية الثالثة قد شهدت ظهور جيل جديد من الكتاب الذين اشتغلوا على تنوع أنماط الرواية و إثراء محتوياتها السردية، و تمكنهم من الارتقاء إلى مرجعيات ينصهر فيها التاريخي بالسياسي، أو ما أصطلح عليه بأدب الأزمات، نذكر منها: " ذاكرة الماء : محنة الجنون العاري " لواسيني الأعرج، و"شاهد العتمة" لمفتي البشير، و "الجنرال خلف الله مسعود" لعمار بن زيد، و هي نصوص اتكأت على راهن تاريخي و واقع مؤلم، مع انزياح و حضور للبعد الدرامي في بنيتها العامة.

تأسيسا على هذه النماذج وغيرها مما لم أذكر، فإنه يمكنني القول أن هذه الأعمال تسعى إلى قراءة جديدة في صياغة جديدة. تخرق القوانين و المعايير الجمالية الثابتة بجمالية مثيرة للأسئلة، لا تطمئن إلى النهائي، بل يتجاذب فيها الثقافي مع الأصيل و المعاصر ضمن وعي فني يغذي الحركة السردية و يدفعها إلى الأمام، كما يمثّل هذا التجاذب المحور الذي يجمع مفاصل الرواية و شخصياتها و أحداثها.

هكذا استطاع الراوئي الجزائري أن يفتح شهية المبدعين، و يشدّ إليه اهتمام النقّاد و القراء على حد سواء، في عالم خيالي مرتبط بالواقع الحقيقي، فبعد أن تنام الدنيا يبدأ الكاتب رحلته مع شخوصه الوهميين "الذين يتحركون على الورق يتحاور معهم و يتبادل النقاش معهم حول حياتهم و مصائرهم و يجعلهم تعويضا لحياة اجتماعية أخرى لا يستطيع أن يستمتع بها أويذهب إليها، (....) أي أنه و هو يتنفس في هذا الفضاء الورقي الأبيض يستطيع أن يستدعي كل هذه الشخصيات و النماذج التي يلتقي بها في الحياة يحاكمها ثم يصدر قرارا بشأنها، فإمّا أن يكافئها و يستعير بعض ملامحها ليصنع منها شخصياته الإيجابية، و إمّا أنه يدينها و يحقق

ممنوع الدخول (2001), ونحت جديد لتمثال أسود (2010), و المشي خلف حارس المعبد (2013), و قل لكم اهبطوا جميعا (2011).

[1]– عبد المالك مرتاض .في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ط 1985.ص 13.

نقمته عليها بأن يستعير ملامحها لتصوير تلك الشخصيات في قصصه التي تكون تعبيرا عن كل ما يملأ الحياة من مسخ و تشويه"[1].

عبر هذه التجارب و السياقات جاءت حاجة البحث إلى اختيار أنموذج الرواية المجسد لهذه الخصوصية و المتغيرات الحاصلة على مستوى النص السردي، من خلال مدوّنة تنتمي إلى الأدب الجزائري هي رواية "**الجنرال خلف الله مسعود(الأمعاء الخاوية)**" للكاتب محمد الكامل بن زيد، و هي رواية تمتح مضامينها من مجموع **ثيمات** محورية فارقة في الرواية الجزائرية، نذكر أهمها : الثورة التحريرية الجزائرية، العشرية السوداء، حرب الخليج، الربيع العربي .

بنظرة سريعة، يمكن أن نلاحظ بأن الرواية نموذج للبحث في مأساة الواقع الجزائري و مختلف التحولات التي مسته و في الوقت نفسه وفرت للمتخيل السردي مادة حكائية ناجحة، و ما أثار انتباهنا حقا في الرواية، ليس هذه الأحداث التاريخية التي يمكن أن تغري أي باحث بدراستها فحسب، و إنما تشكيلها للكتابة أيضا، حيث تكشف عن رؤية نقدية مغايرة نوعا ما للواقع، وذلك من خلال تجاوزها نمطية التشخيص المباشر للعالم إلى صياغة سردية يقيم دعائمها الصوت السارد ضمن المتخيل الروائي.

وعلى ضوء هذا النشاط الأدبي تعمل هذه الورقة البحثية على تحديد الإطار الزمني و الإيديولوجي الذي يتحرك فيه الأديب، كما يحاول الإجابة عن سؤال التأسيس لميلاد أدب ذي مضمون جديد بالنظر إلى الظاهرة التي يسوقها، وذلك – فنيا– من خلال استنطاق ملفوظ المتكلمين الموظفين في الرواية، وحتى السارد مادام الأساس هو تعرية المجتمع من البراثن التي تتربص به، ثم ننتقل إلى مناقشة حضور المادة التاريخية كأحداث أسهمت في بنية هذا المتن الروائي.

و لأن إشكال الرواية و التاريخ يقتضي الجمع بين الخارج و الداخل إذ كيف يمكن تتبع مسارات التّاريخ في رواية ما دون أن يكون ذلك التاريخ محددا سلفا. و

[1]–جهاد فاضل .أسئلة الرواية ،الدار العربية للكتاب ، ليبيا– تونس ، د،ت، ص 10 – 11

ذلك ما يفسر جنوح البحث إلى استدعاء التجربة الروائية **لمحمد الكامل بن زيد** و هي تعيد صياغة الحادثة التاريخية صياغة أدبية.

لقد شكلت الثورة التحريرية المرجع الأصيل الذي يرد منه الأدباء المادة الخام لإنتاجهم الروائي، فتحضر صورة الوطني المجاهد بسماته البطولية، كردة فعل أملتها الظروف الاجتماعية القاسية التي من شأنها أن تحمل شخصية البطل على كره الاستعمار و نبذه، ومن ثم الثورة عليه. فالروائي– محمد الكامل بن زيد – يقدم شخصية خلف الله مسعود ذلك الإنسان الذي أحرق المستعمر الفرنسي أرضه و أعدم جميع أهله، عدا أخيه الوحيد الذي أخذه العسكر معهم، و قيل أنه مات في حرب الفيتنام (**الحرب الهند وصينية)** فيما بعد، إلى أن يتنامى لديه الوعي عبر مسارات الحكي و محطاته المختلفة، بدايتها عبر اتصال من أحد الإخوان الذي يردد على مسامعه : " إن الجبهة تحتاجك و تسعد بمساعدتك لها "[1]، إلى زمن المأساة الوطنية ثم احتلال العراق حتى نصل لآخر محطة ما يعرف بالربيع العربي.

1– الكتابة الروائية بين التاريخ و التجريب:

ارتأينا أن نستهل بحثنا هذا بتمهيد نظري، حول إشكالية العلاقة بين التاريخ و الرواية، وذلك قصد مناقشة هذه الإشكالية من ناحية و تحديد الموقف المنهجي لدراستنا من ناحية أخرى، قبل الغوص في التحليل : أي ما الذي نعنيه بخطاب الرواية التي تثير التاريخ؟ إن الدراسات التي اطلعنا عليها في هذا الموضوع، تكاد تجمع على مفهوم واحد، لعل أهمها تعريف بعض النقاد للرواية الذي يرى "بأنّها قصة خيالية ذات طابع تاريخي عميق"[2] و هذا التعريف يؤكد تلك العلاقة الوطيدة بين التاريخ والرواية.

---

[1]– محمد الكامل بن زيد, الجنرال خلف الله مسعود (الأمعاء الخاوية), دار علي بن زيد للطباعة و النشر,ط1,ص 30

[2] – محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية–دراسة –منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002، ص101

إن النص الروائي في حتمية منطقه السردي، لا يتناقض مع الحقيقة التاريخية من وجهة نظر المؤلف، فهو يعيد كتابتها محاولا حصرها فيما يملك من أداة هي الوحيدة الكفيلة بتحقيق حلم بقائه في التاريخ، و هي اللغة التي تشتغل عليها الرواية التاريخية و هي تنسج خطابين، خطاب جمالي ينشد المتعة و خطاب آخر نفعي يقدم الوقائع التاريخية.

يؤكد "جورج لوكاتش" (Georg Lukacs) في كتابه – الرواية التاريخية – "أن ما يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعوري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، و ما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدّت بهم أن يفكروا و يشعروا و يتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي"[1].

فالروائي مهما حاول نشدان الحقيقية التاريخية، فإنه سيعبر في منجزه الإبداعي عن آرائه الشخصية التي تعكس موقفه الإيديولوجي من هذه الأحداث، و التي غالبا ما تكون مؤسسة كذلك على الوثيقة التاريخية، التي يتبناها الكاتب من أجل إبراز مختلف الزوايا التي يكون الخطاب الرسمي المعتمد قد أهملها بقصد أو بدون قصد، خاصة و أن المصادر التاريخية تتعدد في الغالب و هنا يشتغل الروائي على الاختلافات الموجودة في متونها.

برجوعنا إلى الرواية العربية نجد هذا الاشتغال ليس علامة غربية فحسب، فقد كتب جرجي زيدان و سليم البستاني و غيرهما الرواية التاريخية، التي كان هدفها التعريف ببطولات السلف و مآثرهم للاقتداء بهم و شحذ النزعة القومية العربية على غرار ما كانت تهدف إليه نظيرتها الأوروبية التي" ظهرت في الحقبة الرومانسية الممتدة على نهايات القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر لأجل البحث عن البطل القومي الذي توسل من خلاله كتاب هذا النوع من الرواية إلى تمجيد النزعة

[1] – جروح لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد كاظم، دار الطليعة، بيروت،1978، ص46.

القومية وبث روح جديدة في شعوبها لأجل المساهمة في بناء الهويات القومية الجديدة التي بدأت في الظهور مع التحولات السياسية الكبرى التي شهدتها أوربا"[1].

غير أن هذه العلاقة في الرواية المعاصرة، اتخذت شكلا آخر في التعامل مع التاريخ، بحيث لا يكرر فيها الحدث الروائي الحدث التاريخي، بل يتفاعل معه تناصًّا و حوارا أو مساءلة ثم تجاوزا ليعيد البناء، إنه الوضع الهش الذي يعيشه المؤلف و هو يحاول أن يعبر عن مرحلة من مراحل تاريخه ليعيد صياغتها صياغة أدبية ممتعة، لعله يصل إلى الإجابة أو المبرر الذي يواجه به واقعه المأزوم، فعمد بعض الروائيين إلى تصدير روايتهم بنصوص تاريخية منتزعة من كتب المؤرخين، نذكر منهم الروائي الليبي إبراهيم كوني – الذي صدّر روايته "التبر" بنصين، أحدهما ديني، و الثاني تاريخي منتزع من كتاب "مملكة مالي" و الروائي سالم بن حميش الذي صدّر روايته "مجنون الحكم" بجملة من أقوال المؤرخين.

أما في مجال الكتابة الروائية في الجزائر فقد أدركت سحر التجريب، وأوغلت فيه لتقدم للقارئ نماذج روائية رائعة تتخذ من المادة التاريخية دعامة لها و أساسا ترتكز عليه فلا يمكن أن نتناول عملا أدبيا إلا و فيه حضور الذاكرة، سواء ما تعلق منها بالماضي القريب أو البعيد، و لعل الحديث عن موضوع الفني و التاريخي في الرواية الجزائرية، "يقودنا إلى استحضار سياقين بارزين كان لهما أثر كبير عليها، و ساهما بشكل كبير في تشكل صورة الأنا و الآخر، و هما سياق الثورة و الشهداء المرتبطة بالفترة الاستعمارية و مابعدها، و سياق الإرهاب الذي يحيل إلى تسعينات القرن الماضي، تلك العشرية السوداء"[2].

إن الحديث عن الفترة الاستعمارية له امتداد إلى مختلف الحقب التي عاشتها الجزائر في مواجهة العدوان الأجنبي. و هذا ما شكل مادة دسمة اشتغلت عليها بعض

---

[1]– ميلاد فايزة: سيرة الأمير عبد القادر الجزائري في كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد *http://www.Jozoor.net/main/medules.php?name:New &Fille:Prind&sid 786. s*

[2]– د. مخلوف عامر، الواقع و المشهد الأدبي، نهاية قرن و بداية قرن، دراسة المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2011، ص 148.

الأقلام الروائية الجزائرية التي لها حضورها في الساحة الأدبية، نذكر منها على سبيل المثال: رواية (كتاب الأمير) للدكتور واسيني الأعرج. الذي يستمد مادته من التاريخ الجزائري الحديث في القرن التاسع عشر، و يركز بالخصوص على مسار شخصية تاريخية هامة في تلك المرحلة، و هي شخصية الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، في فترة صراعه مع الفرنسيين الغزاة مابين 1832 و 1847 ، كما يركز كذلك على شخصي دينية مسيحية فرنسية هي شخصية الأسقف أنطوان- أدولف ديبوش, الأسقف الأول في الجزائر مابين 1838 و 1846. هذه الرواية التاريخية التي تراوح بين التصوير الخالص للواقع و الإغراب في التخييل، خصوصا عندما تدفع بالخطاب الروائي لكي يكون ظهيرا للفلسفة في إعادة صوغ القيم صوغا إنسانيا جديدا.

و أكيد أن هذا المتن الروائي المتميز قد واجه إرثا ثقيلا من الكتابة التاريخية حول شخصية الأمير و جهاده و تصوفه و أدبه. مما أوجب على الكاتب أن يحسن لعبة التوازي بين الزمنين، التاريخي (زمن الحكي) و الروائي (زمن الخطاب) حتى يشكل لنا بناء سرديا قادرا على صوغ التاريخ الواقعي. لتسير الأحداث بشكل متتابع كما هو الشأن في كتب التاريخ، حيث يتولى الأمير سرد قصة كفاحه ضد الجيش الفرنسي للقس الذي يزوره في سجنه من حين لآخر، و في الوقت نفسه تستمر حركة الزمن الروائي متجهة نحو الأمام بشكل أفقي، تتخللها الكثير من المفارقات الزمنية، و تقنيات السرد المتنوعة.

مما تقدم، يتضح أن اعتماد السرد التاريخي على الشفافية و المباشرة و اعتماد الروائي على المادة الوثائقية التي ينضاف إليها التخييل، تأتي لتمنح للمتن بعدا آخر يتداخل فيه السرد التاريخي بالسرد الروائي، " فالسرد عندما يصوغ حكاية تاريخية بطريقة ناجحة لا يختزل التاريخ، و لكنه يكشف مهملاته و منسياته، وأحيانا يبدد بعض شكوكه، وأحيانا يسقط في المحظور التاريخي، ويخرج التخييل عن

معقوليته التي تحرف الوقائع و الأحداث التاريخية"[1] هنا تبرز أهمية التخييل في تشكيل بنية الخطاب الروائي الذي ينشد المتعة الفنية و المعرفة التاريخية.

2- الهوية و التخييل في رواية الجنرال خلف الله مسعود(الأمعاء الخاوية):

رواية **الجنرال خلف الله مسعود (الأمعاء الخاوية)** هي سجال بين التاريخ و تخييله، يعيد فيها الكاتب تشكيل كرونولوجيا الأحداث، التي مرت بها الجزائر عبر محطات مهمة، ليصل على امتداد هذا الواقع، خصوصا في بعده القومي، إلى واقع استثنائي طافح بالشيء و ضده، بالفرح و الكآبة، و في هذه اللحظة الخاصة، يشعر الراوي أن ساعة الحسم قد حلّت: ساعة التذكر و النسيان، ساعة تجريب الحكي و تلوين الذاكرة. وما يريده الآن يأتي بعد أن يغمض البطل الإشكالي عينيه " أغمض عينيه للحظات مسترخيا، بدا فيها كالنائم الحالم حلم تاريخ السنوات الماضية .. يجعل احساسا خفيا يعتريك، يهمس لك بعين اليقين، إنها لم تكن عادية، و أنه هو أيضا لم يكن إنسانا عاديا .."[2].

إن النص الروائي في حتمية منطقه السردي، لا يقف عند إثارة الحادثة التاريخية فحسب، وإنما يسعى إلى إبداع صورة فنية متكاملة، ترصد الحياة اليومية لأناس عاديين أقصاهم التاريخ وأنصفتهم الرواية، لتفسح لهما المجال للكلام والتعبير عن آمالهم وآلامهم. فالمؤشرات الزمنية في الرواية تتخذ من الخطية مرجعا لها، عندما تقف عند أحداث الثورة التحريرية، وحرب الخليج والعشرية السوداء و هلم جر. وهذا كله، من خلال الشخصيات التي يبدو أن السارد وحده هو الذي كان يوجهها حسب تفسيره للأزمة.

ثم سرعان ما يرتد الكاتب، حين تحاصره أحداث التاريخ الرسمية، إلى الإنزياح المحتشم، الذي يتجلى فيه هامش رومانسي جميل، يقول السارد " عرفت أنني أحببت و لأول مرة أحب .. كانت راقصة فرنسية .. فيها الكثير من آيات

---

[1]- د . مخلوف عامر، المرجع نفسه ، ص 143.

[2]- محمد الكامل بن زيد, الجنرال خلف الله مسعود (الأمعاء الخاوية) , ص 18

الجمال ليس آية واحدة فقط .."[1] و لإبراز الطاقة الإغرائية، تسلك اللغة سبيلا يقود الى الجسد، حين تتوحد شخصية السارد(الأساسي في الحكي) مع شخصية ستيفاني " ستيفاني لم تكن راقصة فقط .. كانت منبع الحنان .. لا أقول لك أني لم أضاجعها بل على العكس تماما ..كانت تحب أن أقضي عليها كل مساء ..كل صباح .. كانت عنيفة ترفض التوقف و ترفض معها الخسارة.. "[2].

عندما تتضاعف لغة السرد حول كلمة نواة في بنية النص أو مقطع ما، تصبح الرهانات الجمالية على المحك في صناعة شعرية الكتابة و المعاني المصاحبة لها، و هنا تكمن قدرة (محمد الكمال بن زيد) في ربط هذه العلاقة من جديد، عن طريق الحب الأول ... وكأن الحب يهزم كل شيء حتى السلاح ... هكذا يحلم **بن زيد** فنيا ... وهو بذلك يتجاوز ثنائية (خلف الله مسعود – ستيفاني) إلى الحب بمفهومه الأزلي، حب الجزائريين بعضهم لبعض ...

إن محمد كامل بن زيد في هذه الرواية يعيد تشكيل كرونولوجيا الأحداث، فيضطر أن يتعامل معها بحيث لا يكرر فيها الحدث الروائي الحدث التاريخي، بل يتفاعل معه تناصًا و حوارا أو مساءلة ثم تجاوزا، ليعيد صياغة الحدث فنياً ، عبر قصص فرعية تروي أحداثا متخيلة تختزل أحداثها تقنيات السرد الحديثة، كالإبطاء و الإسراع، و أحيانا التلخيص، و لعل أبرز ما استند عليه الروائي من أحداث متصلة بالمرجع التاريخي، نذكرها منها ما يلي :

2_ 1 _ الثورة التحرير الجزائرية :

إن الحديث عن حرب التحرير، له امتداد إلى مختلف الحقب التي عاشتها الجزائر في مواجهة العدوان الأجنبي. فأصبحت الحرب مرجعاً يستند إليه الأدباء ويستوحون منه كتاباتهم، و هذا ما شكل مادة دسمة للعديد من الروائيين الجزائريين ومنهم الكاتب **محمد الكامل بن زيد** الذي جمع في منجزه الإبداعي بين زمنين، التاريخي (زمن الحكي) و الروائي (زمن الخطاب) ليشكل لنا بناء سرديا يعبر فيه الصوت

---

[1]– محمد كامل بن زيد , الجنرال خلف الله مسعود, ص 31

[2]– المرجع نفسه, ص 31

السارد إلى أعماق الماضي، عبر الشخصية البطلة **الجنرال خلف الله مسعود.** " لم أفكر طويلا فيما تحتاجني الجبهة فقد جاء الجواب سريعا و كان الأمر بسيطا.. في غاية البساطة .. تفجير الملهى الليلي.. لأن معظم رواده من الجنود الفرنسيس .. و الحركى"[1].

إن مثل تلك الإشارات الزمنية – الرمزية (الجنود الفرنسيس/الحركى) المتخم بها النص، ترسم بدقة خصوصيات شخصية " **الجنرال** " الممتلئة بالمآسي و التجارب الأليمة، لتستمر حركة الزمن الروائي متجهة نحو الأمام بشكل أفقي تتخللها الكثير من المفارقات الزمنية، يقول البطل " لا أنكر أن نساء عديدات مررنا في حياتي، واختلطنا معي داخل بوتقة التوحد الوجداني المعيشي، إلا أنه لا واحدة استطاعت أن تهزني.. تزحزح ستيفاني عن عرش ملكها .."[2].

تحدد هذه البنية صورة البطل الذي يتغلب فيه العنصر الذاتي حين يبوح بمشاعره، فينتصر الفني على حساب التاريخي، ولا نعني أن الرواية سيرة ذاتية، بل هي سرد يستخدم تقنية الراوي بضمير الأنا، ليتمكن من ممارسة لعبة فنية، يقيم فيها مسافة زمنية، هي مسافة التحول و الإنتقال إلى شخصه (لا أنكر أن نساء عديدات مررنا في حياتي) ليؤدي وظيفة بنائية تسمح بنمو السرد و تطوره نحو أهداف محددة .

2_ 2 _ حرب الخليج:

لقد عبّرت الهوية عن علاقة الذات بالآخر بالرغم من الحيّز المكاني الذي يشغله كل واحد منهما، لكن المتتبع للرواية الجزائرية يلحظ جوانب أخرى لاتقل أهمية، خصوصًا إذا ذكرنا تيمة "القومية العربية" و علاقتها بالذات (الكاتب و المبدع). ولعل استحضار الكاتب لبلاد الرافدين كسمة حضارية في الرواية له ما يبرره، أمام بلد مرّ بتاريخ صعب، من الغزو المغولي إلى الحكم العثماني، ثم الإحتلال البريطاني، مروراً بحرب الخليج الأولى و الثانية و أخيرا الغزو الأمريكي، فهذا

[1]– محمد الكامل بن زيد, الجنرال خلف الله مسعود, ص 31

[2]– المرجع نفسه, ص 33

السجال التاريخ هو ما حفز (بن زيد) لاسترجاعه كمعلم تاريخي مهم في تاريخ هذا القطر العربي.

يقول الراوي " صدام حسين .. انتهى وصورة العلم المسجى فوق تمثاله من قبل أحد الجنود الأمريكيين يوحي بالشيء الكثير.. ساعات بعدها ..عرف العراقيون أن الإيحاء لا يكفي و أن الصورة الأكثر جلاء .. هي أن أمريكا أصبحت أمريكا .. والعراق أصبح أمريكا .. الكثير أيقن أنه خدع و أن وهم الحرية المنشود أصبح سرابا .. و أن الآمال المعلقة أضحت خبر كان"[1].

يؤسس الروائي الجزائري "محمد الكامل بن زيد" في روايته (الأمعاء الخاوية) تشكيلات مختلفة، لحكي انتقادي، يرسم أفق انتظار قاتم متخم بالإحباطات، هذا المضمون يتحدث عنه الكاتب في سبعة صفحات إلى أن يصل الراوي بالقول" لست أهدي و لا صاحبنا مسعود كان يهدي، فما تخيلناه أصبح حقيقة جلية للعيان "[2] إن السرد عند الكاتب مواز للحراك السياسي الذي شهدته المنطقة مدّا و جزرا. هنا تكمن (شعرية) السرد عنده، كون السرد يتوحد مع الحدث التاريخي، فتنفتح اللغة معه بكل طاقاتها الترميزية.

2_ 3 _ العشرية السوداء:

الواقع أن العشرية السوداء تجلت فيها المحنة، و فرضت حضورها بقوة في الكتابة الأدبية. ومن تداعيات أدب المحنة في تسعينيات القرن الماضي، حضور تيمة (الإرهاب) الذي يحتكر الوصاية فينصب نفسه وصيا على الدين، يدعي العصمة لنفسه، وينسب المعرفة الدينية له لا يشاركه فيها أحد. أما أدوات القمع و لوازمه فهي مبررة بنصوص دينية مبتورة من سياقاتها، هذا ما عبر عنه الراوي " وما كدت أستقر معهم حتى ألبسوني الزي الأفغاني التقليدي بعمامته الصوفية الكبيرة و سرواله القصير ثم شاهدت أفعالهم فازداد يقيني أنّ هؤلاء براء من الإسلام و الإسلام براء منهم .. و أن فكرة الجهاد قد حيدت عن أصلها .. فقد رأيت بأم عيني أشياء يخجل

---

[1]– المرجع نفسه, ص 55

[2]–محمد الكامل بن زيد, الجنرال خلف الله مسعود (الأمعاء الخاوية), ص 62

المرء أن يصفها، وكم حاولت أن أتناسها أو أتغاضى عنها، لكن ذلك لم يكن ممكنا.."[1].

يلاحظ الدارس من خلال هذه المقطوعة، أن الكاتب اتخذ أشكالا متعددة من التماهي مع الحادثة التاريخية، على مستوى تشكيل جمالية الخطاب الروائي، من خلال تقصي تشظيات المرحلة، في تاريخيتها و استلهام ما يعيد البطل إلى صورة الحادثة التاريخية و جرحها النازف، خصوصا عند ظهور شخصية " خالد " المدعو أبو دجانة (من المجاهدين الأفغان) الذي لم يأتي اعتباطا في رواية تثير التاريخ، حيث وفق الكاتب (محمد الكامل) في اختيارها بما أضفى عليها من الصدق التاريخي لتقديم الدعم المعنوي للشخصية البطلة (خلف الله مسعود) " وكانت عودتي إلى الجزائر محفوفة بالمخاطر ...فلولا مساعدة من كان معنا في سجن أبو غريب صديقي خالد المدعو أبو دجانة ... كان مجاهدا من المجاهدين الأفغان"[2].

يعتمد الكاتب في بناء سرحه الروائي على مواقع مختلفة ترصدها ذاكرة الراوي بعناية، و تنتقل بين محطاتها بذكاء محكم، من خلال المضامين التاريخية التي تبثها على ألسنة الشخصيات من عنابة (ساحة الثورة) إلى العراق(سجن أبو غريب) إلى فضاءات أخرى (المستشفى الجامعي ابن رشد، المسرح الجهوي عز الدين مجوبي، جبال البابور، ...) ، ويسعف هذا السرد " المتقافز"، طبيعة السارد البطل **خلف الله مسعود** الذي يتحول من شخصية تاريخية إلى شخصية إشكالية تعكس ما يتعرض له المجتمع من ويلات في قالب فني يهيمن عليه البعد الإيديولوجي في تفسير الأحداث.

2_4_ الربيع العربي:

شكلت الثورات العربية بمساراتها و انحرافاتها و مختلف الصراعات التي أفرزتها، معطى جديد أسهم في ظهور كتابات روائية مغايرة لكتابات فترة أخرى سابقة، من حيث السياق السوسيوتاريخي و ما يرتبط به من أشكال الوعي و الرؤى و

[1]– المرجع نفسه, ص 90

[2]– المرجع نفسه, ص 88

الرّاهن المعيش عربيا، فكل تحول في الطرفين: (المجتمع / المتلقي) يستدعي حتما تحوّلا موازيا في (تقنيات/ شكل الكتابة) " لأن تغير محتوى الشكل يعني بالضرورة تغيير الشكّل ذاته، وإذا كان مستوى الشكل هو تمثيل لوجود الجماعة البشرية يقود بالتالي إلى تغيير محتوى الشكل و من ثمّ الشكل ذاته"[1].

وفي رواية (خلف الله مسعود) نرصد اشتغال محمد كامل بن زيد على مساحة لا بأس بها من هذا الحراك الذي شهدته المنطقة العربية، يقول الراوي " ولم تمضي ساعات قلائل من صباح اليوم الرابع حتى طلع مسئول سام في التلفاز على المباشر متحدثا لوسائل الإعلام المحلية و العالمية في زهو و عزة نفس مفرطة :

تم بحمد الله في الساعات الأولى من صباح اليوم القضاء على هذه الثورة اللعينة ..واستتاب الأمر لصالحنا، وتم القضاء بذلك على جميع المرتزقة و على رأسهم العقل المدبر المسمى خلف الله مسعود و هو برتبة جنرال .."[2].

لقد أفصحت الرواية بشكل كثيف عن سلسلة من المشاعر المتضاربة التي أفسدت الذوق و الأشياء و الرؤية، فالخطاب الرسمي الذي تقدمه الرواية على لسان "مسؤول سامي" يقابله خطاب موازي مختلف يركز على كشف المعتم من الواقع و المغيب في الخطاب الرسمي، الذي تظهر ملامحه في حالة القلق و التوتر في وجه (خلف الله مسعود) من قضية " قوارب الموت" ومن يقف خلفها، وهو ما عجل بإشعال نار الثورة على هؤلاء قبل فوات الأوان، وفي هذه الأثناء يخاطب **خلف الله مسعود** جيشه من المتسولين بجملة واحدة (قد بلغ السيل الزبى..ولابد أن نقطع دابرهم).

رواية **خلف الله مسعود** للكاتب الجزائري **الكامل محمد بن زيد** تكشف الغطاء، عن سر اندلاع الحروب و مآسيها في أماكن مختلفة من العالم في العصر الذي نعيشه الآن، إنها تنظر إلى الحرب كلعبة بين القوى الكبرى، و ترى الحرب سوقا

---

[1]– سيد بحراوي, محتوى الشكل, مجلة الفصول, المجلد 12, العدد الأول, الجزء الثاني, ربيع 1993, الهيئة المصرية العامة للكتابة, ص 204, 205

[2]– محمد الكامل بن زيد, خلف الله مسعود, ص 135

رائجة و مربحة لتجار الموت من مواقعها المحجوبة بالظلال. وقد ساهم تداخل الأصوات السردية في ترسيخ طابع التفكك الذي يميز العالم الحكائي للرواية، محاولا رصد ذلك الواقع الصعب الذي تنبثق منه صراعات قوية و مختلفة، ذات دلالات اجتماعية و سياسية معبرة و واضحة.

إن الكاتب المثقف لم يكن أبدا على هامش التاريخ، بل كان أحد فاعليه من خلال ما يثيره من قضايا ارتبطت ارتباطا وثيقا بتحولات المجتمع، كما وجد في الرواية وسيلة في التعبير عن الرأي. و لما كانت مهمة الروائي ليست نقل الوقائع كما هي، لجأ إلى التخييل كمكون جمالي ترتكز عليه الرواية لتجاوز ذلك الواقع و إعادة صياغته بطريقة فنية " إن السرد متى استعان بالصورة دخل العالم التخيلي إلى حقله الخاص به، وبقية (الأحداث الواقعية) قاعدة قابلة للتحريف عند الضرورة، و لأن الضرورة الفنية تتطلب تجاوز الظرف، فان التحريف نفسه سيغدو قاعدة، أما الواقع فلا يمثل إلا نفسه من العمل الأدبي، و ليس العكس، و هذا العكس معناه تخلي الكاتب عن شخصيته و الغوص في قضايا لا تعنيه ككاتب، قضايا تعني الإمام و السياسي و الجمعيات الخيرية مثلا، لكنها ليست أدبا أو أنها أدب قابل للتقويض في أية لحظة"[1].

والحق أن التخييل هو الذي يعبر بالنص من التاريخي إلى الروائي " فالخيال نفسه عمل من أعمال الذاكرة، و إنّ قدرتنا على التخييل، ليست سوى قدرتنا على تذكر ما مررنا به من قبل و تطبيقه على موقف مختلف، فالخيال هو الوجه الآخر من الذاكرة سواء في حفظ الصّور و تنظيمها أو إعادة تركيبها و ابتكارها"[2]. فإعادة تنظيم تلك الصور التابعة في المخيّلة كمعرفة قبلية، تعتدل مع الموقف الجديد الذي تبدي الذات إزاءه القبول أو الرفض، و ينقل كل هذا عبر اللغة كوسيط ماديبين

[1]– السعيد بوطاجين ، السرد و وهم المرجع ، مقاربات في النص السردي الجزائري الحديث ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2005 ، ص8.

[2]– جابر عصفور ، زمن الرواية ، د ت ، القاهرة ، ص 247

الذات و العالم ووفق هذا يتحدد المتخيل أو التخيّل على أنه إعادة الصياغة بوصفها نصا"[1].

وتبقى هذه الرواية (**خلف الله مسعود الأمعاء الخاوية**) وثيقة " أدب سياسية " تضاف إلى هرم الكتابات التي سنسميها **بأدب الأزمة** برؤية مصاحبة لا تكتفي بسرد الحياة، أو تجربة الذات لتتراوح بين الفني و التقني فحسب، بل هي عالم أرحب يعرفنا على مسارات نشوء الوعي الاجتماعي و تفاعلاته اتجاه كل القضايا: السياسية والتاريخية والاجتماعية و موقف المبدع اتجاهها، فإما أن ينقل الخطابات السائدة و يؤكدها، و إما أن ينقلها حتّى يؤسس لرحلة البحث عن الحقيقة، وهو يقدم توعكات الحادثة التاريخية بصورة ممتعة و لبوس أدبي يغطي تشنجاتها و مرارتها، وأحداثها المتسارعة التي لم يعد في وسع المجتمع أن يستوعبها بالطرق المفروضة عليه فرضًا.

الفهرس:

[1] – محمد الكامل بن زيد, الجنرال خلف الله مسعود (الأمعاء الخاوية), دار علي بن زيد للطباعة و النشر,ط1، الجزائر،2014

[2] – جابر عصفور، زمن الرواية، دار المدى للطبالعة و النشر و التوزيع، ط1، دمشق، 1999

[3] – جهاد فاضل .أسئلة الرواية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا– تونس

[4] – ج– هيوسلفرمان . نصيات بين الهرمنيوطيقا و التفكيكية ، تر: حسن ناظم، و علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ف1/ 2002

[5] – جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، .1986

---

[1]– ج– هيوسلفرمان . نصيات بين الهرمنيوطيقا و التفكيكية ، تر: حسن ناظم ، و علي حاكم صالح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ف1/ 2002 ، ص 182.

[6]– سيد بحراوي, محتوى الشكل, مجلة الفصول, المجلد 12, العدد الأول, الجزء الثاني ,ربيع 1993 , الهيئة المصرية العامة للكتابة , ص 204, 205

[7] – السعيد بوطاجين ، السرد و وهم المرجع ، مقاربات في النص السردي الجزائري الحديث، منشورات الاختلاف، ط 1 ، 2005

[8] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ط 1985.

[9] – محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية– دراسة – منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002

10– ميلاد فايزة: سيرة الأمير عبد القادر الجزائري في كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد *http://www.Jozoor.net/main/medules.php?name:New & Fille:Prinds &sid 786.*

[11] – د . مخلوف عامر، الواقع و المشهد الأدبي، نهاية قرن و بداية قرن، دراسة المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2011

[12]– ج– هيوسلفرمان . نصيات بين الهرمنيوطيقا و التفكيكية ، تر: حسن ناظم، و علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ف1/ 2002